كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ
ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

معانى الكلمات :

طاغوت : متجاوزون للحد فى الكفر .

تولى : أعرض .

ذنوبا : نصيبا من العذاب .

رق : ما يكتب فيه من الجلد وغيره .

البيت المعمور : الذى تطوف به الملائكة فى السماء أو الكعبة .

السقف المرفوع : السماء .

المسجور : الموقد ناراً .

تمور : تضطرب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم الغاية من خلق الله للجن والإنس .

٢ ـ أن نعلم أن قيمة الأعمال فى النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها .

٣ ـ أن نستشعر الرهبة من مشاهد القيامة .

المحتوى التربوى :

يعقب السياق على قصص الرسل التى سلفت ؛ أن طبيعة المكذبين واحدة ، وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون فقد قالوا من قبل ساحر أو مجنون كما يقول هؤلاء المشركون ، كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون ، وما تواصوا بشىء إنما هى طبيعة الطغيان تجمع بين الغابرين واللاحقين ، وعلى الرسول ألا يحفل بتكذيب المشركين ،فهو غير ملوم على ضلالهم ، ولا مقصر فى هدايتهم إنما هو مذكر فعليه أن يذكر وأن يمضى فى التذكير مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون ، والذكرى تنفع المؤمنين وحدهم ، ولا تنفع غيرهم من الجاحدين ، والتذكير هو وظيفة الرسل .

وهنا يتضح معنى الفرار إلى الله لأداء الوظيفة التى خلق الله العباد لها ، ومنحهم وجودهم ليؤدوها ، وهذه الوظيفة المعينة التى تربط الجن والإنس بنا موسى الوجود هى العبادة لله أو هى العبودية لله ، أن يكون هنا عبد ورب ، عبد يَعبد ، ورب يُعبد ، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار .

يقول صاحب الظلال : « وإن حقيقة العبادة تتمثل فى أمرين رئيسيين :

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله فى النفس، أى استقرار الشعور على أن هناك عبدًا وربا، عبداً يعبد، وربا يعبد، وأن ليس وراء ذلك شىء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار، ليس فى هذا الوجود إلا عابد ومعبود ، وإلا رب واحد والكل له عبيد .

الثانى : هو التوجه إلى الله بكل حركة فى الضمير ، وكل حركة فى الجوارح ، وكل حركة فى الحياة ، التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله .

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض وعمارة الأرض كالجهاد فى سبيل الله ، والجهاد فى سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضا بقدر الله ، كلها عبادة .

ومن مقتضيات استقرار معنى العبادة أن تصبح قيمة الأعمال فى النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها ، فلتكن النتائج ما تكون ، فالإنسان غير معلق بهذه النتائج ، إنما هو معلق بأداء العبادة فى القيام بهذه العمال ، ولأن جزاءه ليس فى نتائجها إنما جزاؤه فى العبادة التى أداها ، والقرآن يغذى هذا الإحساس ويقويه بإطلاق مشاعر الإنسان من الانشغال بهم الرزق ومن شح النفس ، فالرزق فى ذاته مكفول ، تكفل بالله تعالى لعباده ، وهو لا يطلب بطبيعة الحال أن يطعموه سبحانه أو يرزقوه حين يكلفهم إنفاق هذا المال لمحتاجيه ، والقيام بحق المحرومين فيه، فالله هو خالقهم ورازقهم .

وفى ضوء هذه الحقيقة الكبيرة ينذر الذين ظلموا فلم يؤمنوا ، واستعجلوا وعد الله وكذبوا ، بأن لهم نصيبا من العذاب فلا يستعجلون ذلك ، فإنه واقع لا محالة .

سورة الطور

تبدأ السورة بقسم من الله سبحانه بمقدسات فى الأرض والسماء بعضها مكشوف معلوم ، وبعضها مغيب مجهول، وهذه الآيات القصيرة ، والفواصل المنغمة ، والإيقاعات الفاصلة ، تصاحب السورة من مطلعها ، وهى تبدأ كلمة واحدة ثم تصبح كلمتين ثم تطول شيئا فشيئا مع المحافظة الكاملة على قوة الإيقاع .

والطور : الجبل فيه شجر ،والأرجح أن المقصود به الطور المعروف فى القرآن ، المذكور فى قصة موسى عليه السلام والذى نزلت فوقه الألواح ، فالجو جو مقدسات يقسم بها الله سبحانه على الأمر العظيم الذى سيجىء .

والكتاب المسطور فى رق منشور الأقرب أن يكون هو كتاب موسى الذى كتب له فى الألواح؛ للمناسبة بينه وبين الطور وقيل : هو اللوح المحفوظ تمشيا مع ما يعده : البيت المعمور والسقف المرفوع ، ولا يمتنع أن يكون هذا هو المقصود .

والبيت المعمور قد يكون الكعبة ، والأرجح أن يكون بيت عبادة الملائكة فى السماء ؛ لما ورد فى الصحيحين فى حديث الإسراء : « ثم رفع بى إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم» ، يعنى يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم .

والسقف المرفوع : السماء ، والبحر المسجور : المملوء . وقد يكون معنى المسجور : المتقدم.

يقسم الله سبحانه بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم بعد أن يتهيأ الحس بهذه الإيقاعات لاستقبال ذلك الأمر العظيم ، وهو أن عذاب ربك واقع حتما لا يملك دفعه أحد أبداً ليس منه واقٍ ولا عاصم ويعقب هذا الإيقاع الرهيب مشهد مصاحب له رهيب ، فمشهد السماء الثابتة المبنية بقوة وهى تضطرب كما يضطرب الموج فى البحر من هنا إلى هناك بلا قوام ، ومشهد الجبال الصلبة الراسبة تسير خفيفة رقيعة لا ثبات لها ولا استقرار أمر مذهل مزلزل ، يدل ضمنا على الهول الذى تمور فيه السماء وتسير منه الجبال ، فكيف بالمخلوق الإنسانى الصغير الضعيف فى ذلك الهول المذهل المخيف ؟ !

ويعاجل السياق المكذبين بالدعاء عليهم بالويل من العزيز الجبار ، والدعاء بالويل من الله حكم بالويل وقضاؤه واقع ما له من دافع لهؤلاء المكذبين الذين يخوصون فى الباطل ، ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ، يوم يدفعون إلى نار جهنم ، فالدّع : الدفع فى الظهور وهى حركة غليظة تليق بالخائضين اللاعبين الذين لا يجدون ، ولا ينتبهون إلى ما يجرى حولهم من الأمور ، فيساقون سوقا ، ويدفعون فى ظهورهم دفعا ، حتى إذا وصل بهم الدفع والدع إلى حافة النار قيل لهم : ما ترونه النار التى كذبتم بها فى الحياة الدنيا تقريعا وتوبيخا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ لا يفوز الإنسان وينجو إلا بالإيمان والعمل الصالح .

٢ ـ كل ما يحقق خلافة الإنسان لله فى الأرض يدخل فى معنى العبادة .

٣ ـ سينزل العذاب حتما يوم القيامة بالمكذبين والمتشككين .

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾
٥٢٤

معانى الكلمات :

اصلوها : ادخلوها .

فاكهين : متلذذين .

متكئين : جالسين .

ألتناهم : نقصناهم .

مشفقين : خائفين .

وقانا : نجانا .

نتربص : ننتظر .

ريب المنون : صروف الدهر المهلكة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر سياط العذاب ،و هتاف النعيم الرغيد .

٢ ـ أن نعلم أسباب أمن المؤمنين فى أخراهم ورخائهم ونعيمهم .

٣ ـ أن نعلم صفة المؤمن الذى يحمل الدعوة على كاهله .

المحتوى التربوى :

بينما الكافرون فى الكرب بين الدع والنار التى تواجههم على غير إرادة منهم ، يجيئهم الترذيل والتأنيب ، والتلميح إلى ما سيق منهم من التكذيب ، فقد كانوا يقولون عن القرآن : إنه سحر فهل هذه النار التى يرونهاكذلك سحر ؟ ! أم إنه الحق الهائل الرعيب ؟ أم إنهم لا يبصرون النار كما كانوا لا يبصرون الحق فى القرآن الكريم ؟

وحين ينتهى هذا التأنيب السافر المرير يعاجلهم بالتيئيس البئيس ، وليس أقسى على منكوب بمثل هذه النكبة ؛ من أن يعلم أن الصبر وعدم الصبر سواء، فالعذاب واقع ما له من دافع، وألمه واحد مع الصبر ومع الجزع ، والبقاء فيه مقرر سواء يصبر عليه أم هلع ، والعلة أنه جزاء على ما كان من عمل ، فهو جزاء له سببه الواقع فلا تغيير فيه ولا تبديل .

وينتقل السياق إلى هتاف المتاع الذى لا يقادم وبخاصة بعد مشهد العذاب البئيس ، وهو أقرب إلى مشاهد النعيم الحسى الذى يخاطب المشاعر فى أول العهد ، والذى يجتذب النفوس بلذائذ الحس فى صورتها المصفاة ، ومجرد الوقاية من عذاب الجحيم الذى عرضت مشاهده فى هذه السورة فضل ونعمة ، فكيف ومعه جنات ونعيم وهم يلتذون ما آتاهم ربهم ويتفكهون ؟

ومع النعيم ولذته التهنئة والتكريم ، وهذا بذاته متاع أكرم وهم ينادون هذا النداء العلوى ، ويعلن استحقاقهم لما هم فيه ؛ فهم متكئون على سرر منسقة يجدون فيها لذة التجمع بإخوانهم فى هذا النعيم ، ولهم قرينات صالحات ، وزوجات حسان من الحور العين ، ويمضى التكريم خطوة فإذا ذريتهم المؤمنة تجتمع إليهم فى هذا النعيم ، زيادة فى الرعاية والعناية ، ولو كانت أعمال الذرية أقل من مستوى مقام المتقين ما دامت هذه الذرية مؤمنة ، وذلك دون أن ينقص من أعمال الآباء ودرجاتهم ، ودون إخلال بفردية التبعة وحساب كل بعمله الذى كسبه ، إنما هو فضل الله على الجميع .

ويستطرد السياق يعرض ألوان المناعم واللذائذ فى ذلك النعيم ؛ فإذا فاكهة ولحم مما يشتهون وإذا هم يتعاطون فيها كاسا ليست كخمر الدنيا تطلق اللغو والهذر من الشفاء والألسنة وتشيع الإثم والمعصية فى الحس والجوارح ، إنما هى مصفاه مبرأة ، وهم يتجاذبونها بينهم ويتعاقبون مجتمعين زيادة فى الإيناس واللذة والنعيم فى حين يقوم على خدمتهم ويطوف عليهم بالكأس عليهم غلمان صباح أبرياء ، فيهم نظافة وفيهم صيانة وفيهم نداوة كاللؤلؤ المصون ، مما يضاعف إيناس المجلس اللطيف فى الجوارح والقلوب ، واستكمالاً لجو المشهد المأنوس يعرض سمرهم فيما بينهم ، وتذاكرهم ماضيهم ، وأسباب ما هم فيه من أمن ورضا ورخاء ورغد وأنس ونعيم ، فيكشف للقلوب عن سر هذا المتاع ، ويشير إلى الطريق المؤدى إلى هذا النعيم ؛ فالسراء إذن أنهم عاشوا على حذر من هذا اليوم ، عاشوا فى خشية من لقاء ربهم ، عاشوا مشفقين من حسابه ، عاشوا كذلك وهم فى أهلهم ، حيث الأمان الخادع ولكنهم لم ينخذعوا ، وحيث المشغلة الملهية ولكنهم لن يسعوا ، عندئذ منّ الله عليهم ووقاهم عذاب السموم الذى يتخلل الأجسام كالسم الحار اللاذع ، وقاهم هذا العذاب منة منه وفضلا لما علم من تقواهم وخشيتهم وإشفاقهم ، وهم يعرفون هذا ، ويعرفون أن العمل لا يدخل صاحبه الجنة ، ألا بمنة من الله وفضل ، فما يبلغ العمل أكثر من أن يشهد لصاحبه أنه بذل جهده ورغب فيما عند الله وهذا هو المؤهل لفضل الله ، وقد كانوا مع الإشفاق والحذر والتقوى يدعون الله وهم يعرفون من صفاته البر بعباده والرحمة بعبيده .

ويتوجه السياق بالخطاب للرسول ﷺ ليظل فى تذكيره لا يثنيه سوء أدبهم معه ، وسوء اتهامهم له ، وقد كانوا يقولون عنه مرة : إنه كاهن ، ويقولون عنه مرة : إنه مجنون ، ويجمع بين

الوصفين عندهم ما كان شائعا بينهم أن الكهان يتلقون عن الشياطين ، وأن الشيطان كذلك يتخبط بعض الناس فيصابون بالجنون ، فالشيطان هو العامل المشترك بين الوصفين : كاهن أو مجنون .

وكان يحملهم على وصف النبى ﷺ بهذا الوصف أو ذاك ، أو فيقولهم إنه شاعر أو ساحر ، كان يحملهم على هذا كله موقفهم مبهوتين أمام القرآن الكريم المعجز الذى يبدههم بما لم يعهدوا من القول وهم أهل القول ، ولما كانوا لا يريدون لعلة فى نفوسهم أن يعترفوا أنه من عند الله ، فقد احتاجوا أن يعللوا مصدره المتفوق على البشر ، فقالوا : إنه من إيحاء الجن أو بمساعدتهم ، فصاحبه إما كاهن يتلقى من الجن ، أو ساحر يستعين بهم ، أو شاعر له رئيٌّ من الجن ، أو مجنون به مس من الشيطان ينطقه بهذا القول العجيب .

وإنها لقولة فظيعة شنيعة ، فالله ـ سبحانه ـ يسلى رسوله عنها ، ويصغر من شأنها فى نفسه ، وهو يشهد له أنه محوط بنعمة ربه ، التى لا تكون معها كهانة ولا جنون .

ثم يستنكر قولهم : إنه شاعر ، وقد قالوها ، وقال بعضهم لبعض : اصبروا عليه واثبتوا على ما أنتم فيه حتى يأتيه الموت فيريحنا منه ، وتواصوا أن يتربصوا به الموت المريح ، ومن ثم يلقن الرسول ﷺ أن يرد عليهم فى تهديد ملفوف أن يتربصوا ما شاؤوا، ويثبتون على كيدهم ما أرادوا؛ فستعلمون من تكون له العاقبة ، ومن ينتهى به التربص إلى إدراك النصر والظهور .

فالرسول ﷺ والمسلمون من بعده عليهم مهمة التذكير والتبليغ ، لا يأبهون لما يقابلهم من عوائق وعراقيل يصنعها أهل الباطل لوقف مد الحق حتى لا يستطيل على باطلهم ، فالله يتولاهم كما تولى رسوله من قبل ، والعاقبة سنة تجرى فى كون الله لا تتخلف ولا تتبدل نصرة للحق ولو بعد حين ، إذن فليربط القلب جأشه وليمضى فى طريق دعوته ثابتا حتى تقام الحجة ، ويتم أداء الواجب فالله قاهر فوق عباده إليه يرجع الأمر، وليكن الكافر ما يكون، فالمؤمن قاهره بقهر الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٢ ـ الطريق إلى رضا الله والفوز بجنته والنجاة من عذابه هو الحذر من يوم القيامة .

٣ ـ تقوى الآباء وصلاحهم ينفع أبناءهم المؤمنين فيرفعهم الله إلى درجات آبائهم العالية فى الجنة .

سُورَةُ الطُّورِ
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾
سُورَةُ النَّجْمِ
٥٢٥

معانى الكلمات :

تقوله : اختلق القرآن من عند نفسه .

يوقنون : يصدقون .

المصيطرون : الغالبون .

مثقلون : متعبون .

كسفا : قطعًا عظيمة .

مركوم : مجموع بعضه على بعض .

يصعقون : يعذبون عذابا شديداً .

كيدهم : مكرهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أسباب الحياد عن الحق واتباع الباطل .

٢ ـ أن نستشعر أسرار القرآن فى دعوته .

٣ ـ أن نعلم المقامات الرفيعة لرسول الله ﷺ .

المحتوى التربوى :

لقد كان شيوخ قريش يلقبون بذوى الحلوم أو ذوى الأحلام ، إشارة إلى رجاحة عقولهم وحكمتهم فى تصريف الأمور،فهو يتهكم بهم وبأحلامهم تجاه الإسلام،وموقفهم منه ينافى الحكمة والعقل ، فيسأل فى تهكم : أهذه الأوصاف التى يصفون بها محمداً ﷺ ، وتلك المواقف التى يقفونها من رسالته كانت من وحى أحلامهم ؟أم أنهم طغاة ظالمون لا يقفون عندما تمليه الأحلام والعقول .

ولقد تطاولت ألسنتهم على رسول الله ﷺ فاتهموه بافتراء ما يقول ، فهو هنا يسأل فى استنكار أيقولون تقوّله ؟ ! ويبادر ببيان علة هذا القول الغريب : أنهم لا يؤمنون ، فعد استشعار قلوبهم للإيمان هو الذى ينطقهم بمثل هذا القول، بعد أن يحجبهم عن إدراك حقيقة هذا القرآن، وما دامت قلوبهم لا تشعر حقيقة هذا التنزيل ، فهو يتحداهم إذن ببرهان الواقع الذى لا يقبل

المراء ، وقد تكرر هذا التحدى فى القرآن الكريم ، وتلقاه المنكرون عاجزين ووقفوا تجاهه صاغرين ، وكذلك يقف أمامه كل أحد إلى يوم الدين .

يقول صاحب الظلال : « إن فى هذا القرآن سراً خاصا ، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز من التعبير ، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب فى الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن ، يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضا ، ولكنه على كل حال موجود ، هذا العنصر الذى ينسكب فى الحس ، يصعب تحديد مصدره : أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التى تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآنى الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهى هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها هى شىء آخر وراءها غير محدود ؟ !

ذلك سر مودع فى كل نص قرآنى ، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ، ثم تأتى وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير فى بناء القرآن كله فى التصور الكامل الصحيح الذى ينشئه فى الحس والقلب والعقل ، التصور لحقيقة الوجود الإنسانى ، وحقيقة الوجود كله ، وللحقيقة الأولى التى تنبع منها كل حقيقة ، حقيقة الله سبحانه ... وفى الشمول والتوازن والتناسق بين توجيهاته كلها » .

والإعجاز سمة الكتاب فى جميع العصور ، وهى مسألة لا يمارى فيها إنسان يحترم الحقيقة التى تطالعه بقوة وعمق ووضوح ، حيثما واجه هذا القرآن بقلب سليم ، والاستفهام عن حقيقة وجودهم لا سبيل لهم إلى تفسيره بغير ما يقوله القرآن من أن لهم خالقا أوجدهم هو الله سبحانه وهو موجود بذاته وهم مخلوقون ، ووجودهم هكذا من غير شىء أمر ينكره منطق الفطرة ابتداء ، ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل .

كذلك يواجههم بوجود السموات والأرض حيالهم ، فهل هم خلقوها ؟ فإنها لم تخلق نفسها بطبيعة الحال كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم ، وهم يقولون بخلق السموات والأرض ، ولا أنها حلقت أنفسها ، بل علموا أنها من خلق الله ولكن هذه الحقيقة لم تتضح فى إدراكهم إلى درجة اليقين .

ثم يهبط بهم درجة عن درجة الخلق والإبداع فيسألهم : هل هم يملكون خزائن الله ، ويسيطرون على القبض والبسط والضر والنفع ، ثم يهبط بهم درجة أخرى فيسألهم إن كانت لهم وسيلة للاستماع إلى مصدر التنزيل ، فهل لهم سلّم يستمعون فيه ، فيعلموا أن محمداً ﷺ لا يوحى إليه وأن الحق غير ما يقول ؟ فليأتوا ببرهان قوى يحمل فى ذاته سلطانا على النفوس يلجئها إلى التصديق .

ثم يناقش إحدى مقولاتهم المتهافتة عن الله سبحانه ، تلك التى ينسبون إليه فيها بنوة الملائكة ، الذين يتصورونهم إناثا ، موجها الخطاب مباشرة إليهم ، زيادة فى التخجيل والترذيل ، وهل كانوا

يعتبرون البنات فى درجة أقل من درجة البنين ، وكانوا مع هذا لا يستحيون من نسبة البنات إلى الله ، فهو هنا يأخذهم بعرفهم وتقاليدهم ليخجلهم من هذا الادعاء ، وهو فى ذاته متهافت لا يستقيم .

وهم كانوا يستثقلون دعوة النبى ﷺ إلى الهدى ، وهو يقدمه لهم خالصا بريئا ولا يطلب عليه أجرا ، ولا يفرض عليهم إتاوة ، وهو هنا يستنكر مسلكهم الذى لا داعى له ، فإذا كان الواقع ألا أجر ولا غرامة ، فكم يبدو عملهم مسترذلا قبيحا ، يخجلون منه حين يواجهون به ، ويستنكر مسلكهم فى كيدهم ، وهم يعلمون أن ليس عندهم الغيب ، وأن ليس لهم به علم ، وأن ليس لهم عليه قدرة ، وأنهم لا يكتبون فى سجل الغيب شيئا ، إنما يكتب الله فيه ما يريد مما يقدره للعبيد ، ويحسبون أنهم قادرون على شىء من أمر المستقبل فيقولون : شاعر نصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ، وهم الذين يحيق بهم ما يقدره صاحب الغيب لهم ، وهم الذين يقع عليهم كيده ومكره والله خير الماكرين ، ويمضى الاستنكار فى سياق الاستفهام ألهم إله يقيهم ويتولاهم ويرد عنهم كيد الله ، تنزه الله عن تصورهم الباطل السقيم ، وبعد أن انكشفت كل شبهة ، ود حضت كل حجة ووقف القوم أمام الحقيقة مجردين من كل عذر ودليل ، عندئذ يقدمهم على حقيقتهم معاندين مكابرين يبارون فى الحق الواضح ؛ فإذا أرسل عليهم العذاب فى صورة قطعة من السماء تسقط عليهم وفيها الهلاك ، قالوا وهم يرونها : بل هى سحاب فيه الماء والحياة .

وعند هذا الحد يتجه السياق بالخطاب للرسول ﷺ لينفض يده من أمرهم ، ويدعهم لليوم الذى ينفخ فيه فى الصور فيصعقون ، يوم لا ينفعهم تدبير ، ولا ينصرهم نصير، فإذا كانوا اليوم يكيدون ويدبرون فهم فى ذلك اليوم لا يغنى عنهم كيد ولا تدبير ، على أن لهم قبل ذلك اليوم عذابا ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

ويلتفت إلى النبى ﷺ الذى تطاول عليه المتطاولون يوجهه إلى الصبر على هذا العناد ، الصبر على طريق الدعوة الشاق الطويل ، تاركا الأمر لحكم الله يفعل به ما يشاء ، ومع التوجيه إلى الصبر إيذان بالإعزاز الربانى والعناية الإلهية ، ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلة الدائمة به ، فعلى مدار اليوم عند اليقظة من النوم وفى ثنايا الليل ، وعند إدبار النجوم فى الفجر ، هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ يعذب الله الجاحدين والمجرمين فى الدنيا وفى قيودهم ، ثم يكون العذاب الشديد فى نار الجحيم .

٢ ـ إكرام الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ ووضعه فى أعلى مكانة حيث قال له : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

٣ ـ مما يساعد على القرب من الله تسبيحه فى جميع الأحوال ودوام ذكره وتلاوة القرآن والصلاة .